

الخميس 14-02-2008

167- نجيب محفوظ: قراءة في أحلام فترة النقااة

الحلم (33) ، الحلم (34)

الحلم (33)

ماذا حل بالشارع بل بالخي كله؟.. على ذاك لم أكن أتوقع خيرا فيما أرى.

الخي كله كأنما هرم به العمر فذهب رونقه وتناثرت القمامة هنا وهناك وصادفني أحد العاملين فسألته:

- ماذا جرى؟

فأجاب وهو يبتسم:

- البقاء لله وحده، وسبحان مغير الأحوال.

وقصدت مسكن صديقي متوقعا أن يجيق به ما حاق بالخي كله أو أكثر، ولا أنكر أنه كان وساطق للحصول على بعض الأدوية الضرورية من الخارج كما كانت مكالة تليفونية منه تحل أعصى المشكلات في المصالح الحكومية، وجدته كاسف البال لا يأمل خيرا في شيء.. فعزيتته وقلت له إنه صاحب مهنة على أي حال.

فقال متهكما:

- ستثبت لك الأيام أننا لسنا أسوأ من غرنا.

وساءلت نفسي ترى هل يوجد حقا ما هو أسوأ، وسرعان ما حضر نفر من الشبان والشابات، ومع كل حقيبتة ملأها بأشيائه المودعة في الشقة مثل البيجامات والملابس الداخلية والقمصان النسائية الفاتنة وداهنة وروائح عطرية.

وحمل كل حقيبتة وذهب.. نطق كل شيء بما كانت تؤديه شقته من خدمات كما فطن بتدهوره.. وتساءلت في نفسي.. ترى هل كان ينعم بالفخر أو أنه تجرع المذلة والقهر.

القراءة

هل هي مرة أخرى مصر؟

هل شاخت مصر حتى هجرها أبنائها؟

وحتى الأدوية (قارن حلم 22) يحضرها صديق من الخارج (هل هى توصيات البنك الدولى)؟

المحادثة مع الصديق نفسها فيها شيء يحتاج وقفة، فالصديق صاحب مهنة، وهو أيضا يحسن الاتصال بالجهات الحكومية ويعرف طريق التسهيلات والتسهيلات، وفي نفس الوقت هو يائس ساخر، (ستثبت لك الأيام أننا لسنا أسوأ من غيرنا فمن يا ترى يمكن أن يحتفظ بالأمل إذن؟).

تكتمل الصورة الميئسة بهجرة جماعية ومن من؟ من الشباب والشابات، أمل المستقبل

أعرف أن نجيب محفوظ متفائل بعناد ليس له حد، فهل كان ذلك في وعيه الظاهر فقط؟ هل تغطية الأمور بهذه القشرة السميحة المتفائلة هى التى تسمح لإبداعه أن يقول ما هو أرسخ وأكثر إيلاماً، لأنه الأقرب إلى الواقع؟ (قارن حلم 31 وموقفه المعلن من السلام مقابل موقفه الأعمق فى الحلم)

ثم ماذا يعنى هذا التساؤل الأخير؟ هل هو كسر لحاجز الزمن فيتكلم عن المستقبل بصيغة الماضى؟ وصلنى أنه بعد الوداع الهادئ والذكرى الطيبة المؤلمة (أذكروا محاسن من هرم منكم، وأيضا مرضاكم، وربما بعد قليل : موتاكم) بعد أن يتذكر كل واحد ما أدته له شفته من خدمات، لم تمنع تدهوره (كما فطن بتدهوره).

هذه الهجرة الجماعية إلى المجهول، هل ستنتهى بالفخر إذ تحقق الآمال، أم أنها المذلة والهوان؟.

لكنه صاغها كأنها ماض حدث: (فطن كل منهم بتدهوره)، فما هى نتيجة هذه القصة؟ تركها محفوظ مفتوحة:

هل كان ينعم بالفخر؟ أم تجرع المذلة والهوان؟

حاولت أن أتصور أنه يعنى الماضى، وأن كل واحد من هؤلاء الشبان عاش فى شفته (وطنه) محباً، وهو يأمل أن يفخر بانتمائه له، وهو ما يفسر الذكرى الطيبة، لكنه للأسف لم ينل منه إلا المذلة والقهر، فجمع أشياءه ورحل. لكنه رحل وهو أيضا لا يعرف إجابة لنفس السؤال، هل ما ينتظره هناك هو مدعاة للفخر أم مجلبة لنوع آخر من المذلة والهوان؟

هل يصل تكثيف الإبداع أن يقرر زمن الماضى وهو يعنى الإشارة إلى المستقبل؟

فى رأى أن إبداع محفوظ يقدر على ذلك

الحلم (34)

عند منعطف من منعطفات الحارة، رأيت أمامى الصديقين الشقيقتين اللذين طال غيابهما وأحزنى غاية الحزن، وبهتنا ثم

فتحت الأذرع وكان العناق الحار، وتذاكرنا الأحزان والأفراح والليالي الملاح، وطلبا منى زيارة سكنى فمضيت بهما إليه على بعد أمتار، وتفحصاه حجرة بعد حجرة وضحكا طويلا كعادتهما ثم أعربا عن أسفهما لبساطة المأوى، ثم سخرا منى بلسانيهما اللاذعين الجذابين. وسألاني عن عملي الذي أعيش منه، فأجبت بأننى عازف رباب وأنغنى بعذابات الحياة وغدر الدهر، وعزفت لهما وغنيت فقلا إنها حياة أشبه بالتسول ولذلك فهما لا يدهشان لما يبدو فى وجهى من آثار الضعف والبؤس وقالوا لى أهما مجنا عنى طويلا حتى عثرا على وتبين لهما أن قلقهما على كان فى حمله وأهما مجنا عنى طويلا حتى عثرا على وأهما يبشرانه بالفرج.. حمدت الله على ذلك ولكن ما الذى يبشرانى به قالا ستهاجر معنا إلى المكان الجميل والرزق الوفير، فسألت كيف يتيسر لى ذلك فقلا إنهما - كما أعلم - يمتان بصلة لأصحاب النفوذ ولا خير يجئى إلا عن طريق أصحاب النفوذ.

وتأبطا ذراعى وسارا بى إلى الخارج، حتى بلغنا أحد الرجال العظام شكلا وموضوعا، واستمع للحكاية بوجه محايد، وقال لى إن الهجرة تحتاج لهمة عالية وصبر طويل، فوعدنى خيرا وقال الصديقان، إنهما يطمئنانى .. فقال:

- انتظرونى عند الجامع على طلوع الفجر.

القراءة

هذا هو الحلم الثالث على الأقل الذى يذكر فيه أنه لا حل ولا فرج إلا من خلال أصحاب النفوذ، أو من له نفوذ عند أصحاب النفوذ، (حلم الأدوية الأول (حلم 22: 33 الحلم السابق)، فى هذا الحلم السابق (33) لم تعلن الهجرة بشكل مباشر، لكن الشبان جمعوا أشياءهم وودعوا شفقهم الهرمة، وقد فطن كل منهم "إلى تدهوره، فلم يكن أمامهم إلا أن يغامروا إما إلى الفخر المزعوم، أو الهوان غالباً، لم يقل لنا محفوظ فى الحلم السابق أنهم هاجروا، ولكنه تكلم عن احتمالات الذل والهوان بصيغة الماضى الذى قد يمتد إلى المستقبل، الهجرة هنا فى هذا الحلم كانت صريحة وأنها هى الحل، وأنها تحتاج - أيضا- إلى همة عالية وصبر طويل (على الهوان غالباً)، والأهم أنها تحتاج إلى توصية وترتيب من "رجل عظيم"، كما أنها جاءت اقتراحا صريحا من أصدقاء قدامى.

وصلنى -أيضا - من نهاية الحلم احتمال أن هجرتهم هى إلى الأخرة!، أشفق العائدان على صاحبهما من حياة أشبه بالتسول، ومع ذلك فنحن لم نلاحظ مثل ذلك عليه وهو يعزف على ربابته يتغنى بعذابات الحياة وغدر الدهر، ومع بساطة مسكنه وظاهر عوزه إلا أننا-أيضا- لم نلاحظ عليه سخطا أو بأسا مثل الحلم السابق.

نهاية الحلم أيضا هنا لم تحسم الموقف، فهى تعد وتؤجل، حتى لو كانت بتوصية أحد الرجال العظماء. هى نهاية مفتوحة ربما إلى الآخرة، (انتظرونى عند الجامع على طلوع الفجر)

هل ثم احتمال أن يكون المكان الجميل الذى وعده به الصديقان حيث الرزق الوفير هو الجنة التى يحلم بها البؤساء

فى الحلم السابق (33) لاحت الهجرة أرضية، ربما إلى أوروبا أو الخليج، حيث ينتظر المهاجر ما تيسر من الذل والمهانة، (برغم الأمل فى الفخر والاحترام)، لكن الهجرة هنا ارتبطت بالانتظار عند المسجد على طول الفجر، الأمل يمتد عند البؤساء الراضين الذين يتغنون بعذابات الحياة وغدر الدهر، ولا يقلبهم إلا تحريك واعد من أصدقاء قدامى قادمين من الجهول، فى انتظار التعويض فى الحياة الآخرة. هل هذا هو فجرهم القادم؟ ربما!.

مرة أخرى، تفاؤل نجيب محفوظ، وضحكته المجلجلة، حتى بعد أن أصابه ما أصابه، يقولان غير ذلك، يقولان عكس ذلك.

هذا الاحتمال الذى طرحناه فى حلم (31) (الحرب والسلام) لو صخ هناك فقد يصح هنا، وفى الحلم السابق أيضا.

ياه ، كيف أخفيت عنا كل هذا الألم ، وأيضا كل هذا التشاؤم الذى لا نعرفه عنك يا شيخنا؟

بل ربما يكون التساؤل الأكثر صدقا هو :

كيف أخفيت عن نفسك - يا شيخنا- هذه الرؤية الموحجة الصادقة؟

ياه !!

ملحوظة : هل هناك علاقة بين الوعد بالراحة فى هذا المكان الجميل والرزق الوفير، وبين اليمن "السعيد" حيث التصعيد طابقاً بعد طابق حتى يلامس السماء؟.

يجوز!!.

(وقد يتضح الأمر أكثر حين نرجع إلى الدراسة الطولية بعد الانتهاء من هذه الدراسة حلما حلما، لو كان فى العمر بقية).

أرسل تعليقا

TheManAndEvolution-FORUM@arabpsynet.com

http://www.rakhawy.org/a_site/everyday/sendcomment/index.html

The Man & Evolution FORUM Web Site

<http://fr.groups.yahoo.com/group/TheManAndEvolutionForum/>

All Interventions: The Man & Evolution FORUM Messages

<http://fr.groups.yahoo.com/group/TheManAndEvolutionForum/messages/1>

Pr. Yahia Rakhawy Web Site

http://www.rakhawy.org/a_site